الذات والصفات ومن وروده تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله وأما ما ذكره التفتازاني فمن وروده إطلاق الذات عليه سبحانه في البخاري في قصة خبيب وقوله وذلك في ذات الله ففيه بحث من جهة أنه إما أولا فلأنه كلام صحابي وأما ثانيا فلأنه ليس نصا في المعنى بل الظاهر أنه أراد به في سبيل الله وذلك أن الكفار لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين ثم أنشأ يقول

ولست أبالي حين أقتل مسلما • على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ • يبارك على أوصال شلو ممزع

أي أعضاء جسد مقطع وأما إطلاق الحقيقة كما قال ابن السبكي في جمع الجوامع حقيقته مخالفة لسائر الحقائق فأنكر عليه ابن الملكاني حيث قال يمتنع إطلاق لفظ الحقيقة على الله قال ابن جماعة لأنه لم يرد **في كتابه** أي في مواضع من آياته **بجميع صفاته** أي الثبوتية والسلبية كسورة الإخلاص وكقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وسائر الآيات الدالة على تحقق الذات ثم إثبات الصفات ولعل هذا الكلام من الإمام الهمام مبني على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص في حقيقة الإيقان وأن الإيمان الإجمالي كاف في مقام الإحسان فللمؤمن أن يقول عرفته حق معرفته وأما قول من قال ما عرفناك حق معرفتك فمبني على أن إدراك الذات والإحاطة بكنه الصفات ليس في قدرة المخلوقات لقوله تعالى لا تدركه الأبصار ولقوله تعالى ولا يحيطون به علما فاختلاف القضية بتعلق الحيثية ومن هنا قال الإمام الشافعي من انتهض لطلب مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد ومن ثم لما سئل علي رضي الله عنه عن التوحيد ما معناه فقال أن تعلم ما خطر ببالك أو توهمته في خيالك أو تصورته في حال من أحوالك فالله وراء ذلك ويرجع إلى هذا المعنى قول الجنيد التوحيد إفراد القدم عن الحدوث لا يخطر ببالك الأحداث فالمراد بالقدم أن لا تحكم على الله بمشابهة شيء من الموجودات لا في الذات ولا في الصفات بوجه من الوجوه فإنه لا تشبه ذاته

الذوات

الذوات ولا صفاته الصفات فقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل مثله جاء من إطلاق العالم والقادر والموجود وغير ذلك على القديم والحادث فهو اشتراك لفظي فقط **وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له** أي في استحقاق طاعته من حيث أن العبد عاجز عن مراعاة ذكره ومراقبته ومواظبة شكره كما يشير إليه قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تطيقوا عدها فضلا عن القيام بشكرها ومراعاة طاعته بها ولهذا المعنى قيل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته منسوخ بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم لأن حق التقوى يعجز عنه الأصفياء كما فسره بعض الأنبياء بقوله وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى والتحقيق أن المعرفة إذا تحققت استمر حكمها في جميع أحوال العبادة بخلاف العبادة فإنها تجب على العبد في كل لحظة ولمحة وهو عاجز عن استمرار تلك الحالة لضعف البشرية عن القيام بالعبودية كما تقتضيه الربوبية فلا أقل من أنه يقع عنه الغفلة والغيبة عن الحضرة وهو كبير عند أرباب الحقيقة وأصحاب الطريقة وإن وقع عن العامة على لسان صاحب الشريعة رحمة على الأمة من حيث أنه كاشف الغمة وقد أشار سبحانه إلى هذه النكتة بقوله هو أهل التقوى وأهل المغفرة فليس لأحد أن يقول عبدت الله حق عبادته **لكنه** أي الشأن **يعبده** أي يعبد بأمره **كما أمر** أي وفق حكمه وإن كان عاجزا عن أداء حقه ولهذا قال بعض العارفين لولا أمره سبحانه بقراءة إياك نعبد وإياك نستعين لما قرأته لعدم قيامي في مقام حقيقة الإخلاص في العبودية وتحقيق الاستعانة في العبادة ومقام الحضرة الربوبية ولعله عليه الصلاة والسلام في نحو هذا المقام قال لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وكان يتضرع بعد فراغ العبادة إيماء إلى أنه مقصر في أداء حق الطاعة كما يشير إليه قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره ويتفرع على هذا التحقيق قول الإمام على النسق **ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة** أي في نفسها **واليقين** أي في أمر الدين **والتوكل** أي على الله دون غيره **والمحبة** أي لله ورسوله **والرضا** أي بالتقدير والقضاء **والخوف**

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)